مستقبل الكتابة العربية على ضوء معركة الحروف العربية والحروف اللاتينية

إحسان محمد جعفر - سوريا

يعود التفكير فى اصطناع الحروف اللاتينية ، فى كتابة اللغة التركية ، بدلا من الاحرف العربية الى أيام حكم القياصرة فى روسيا الذين بسطوا سيطرتهم على تركستا ن وأذربيجان والقنقاس ، وروجوا للكتابة بالحروف الروسية السلافية بين الشعوب التركية الاسلامية القاطنة هذه البلاد ، والتى تكتب لغاتها بالحرف العربى . وكانت الطريقة التى استنبطها فى أواسط القرن التاسع عشر المستشرق الروسى المشهور « المنسكى » ، لاستبدال حروف الهجاء العربية التى يستعملها التتار فى كتابة لغتهم « التركية القازانية » بحروف الهجاء الروسية ، اول محاولة من نوعها لاسقاط الحرف العربى ، وعلى الرغم من ادعائه أنه بعمله هذا يسهل التعليم الابتدائى فى مدارس التتار ، فانه لم يخف عنهم أن هدفه الذي يبتغيه هو ادخالهم آخر الامر فى مذهب الارثوذكس ، فقاوموا طريقته بعنف ، فأسقط فى يده ، وبخاصة لما صدر المنشور القيصري الذي منح بعض الحقوق الدستورية للشعوب الخاضعة لحكم القيصر على اختلاف نحلها .

ومع ان (الطريقة المنسكية) اخفقت، فان الهجوم على الحرف العربى كان يتوالى بين فينة واخرى ، واظهر من هاجم الحرف العربى فى بداية القرن العشرين من غير الاوربيين الشيخ « جوزي مندلى »، وهو عربى مسيحى تعلم فى المدارس الدينية الروسية ثم اصبح رقيبا على الصحف التركية فى عهد القيصر نيقولاي الثانى ، فقد انفرد براي يدل على ذوق مريض أو هوى فى سريرته ، هو أن الحروف العربية قبيحة المنظر ، وأن كثرة النقاط والحركات فيها تجعلها مضرة للبصر .

وقبل أن يقدم اتاتورك على الغاء الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية فى كتابة اللغة التركية ، كان فريق من الاتراك الخاضعين للسلطة الروسية كالآذريين والياتوت قد شرعوا فى استعمال الابجدية الروسية او اللاتينية ، ولكن على نطاق محدود ، كما ان الالبانيين اختاروا ، مع استقلال البانيا سنة 1912 ، الحروف اللاتينية بعد فترة مليئة بالحوار المسلح ، وبخاصة فى بداية القرن العشرين، بين أنصار الأبجدية اللاتينية والأبجدية العربية المقترحتين للغة الالبانية .

وفى سنة 1926 حدثت أولى معارك الحرف على اثر عقد مؤتمر « باكو » الذي حضره مندوبون من جميع الشعوب التركية للبحث فى لغات الترك

وآدابهم واصلاح حروفهم ، اذ كانت أهم قضية وضعت على بساط البحث قضية الحروف ، وانقسم المؤتمرون الى مدافعين عن الرسم العربي وداعين الى نبذه ، وقد تولى فى هذا المؤتمر « عالمجان شرف» وهو أحد علماء اللغة الاتراك ، تفنيد حجج انصار لاتينية الحرف ، وخرج مبرهنا على أن الأحرف العربية افضل من اللاتينية من حيث الرسم والخط وسرعة القراءة والموافقة للنظر وجمال الشكل وسهولة الطباعة .

وقد تردد لينين كثيرا بعد قيام السلطة السوفيتية فى الاقدام على تغيير الاحرف العربية قبل ان (تمنح) حكومة الاتحاد السوفييتي الابجدية الروسية للشعوب التركية الخاضعة لسلطانها ، اذ انه كثيراً ما سأل آغا معلى الآذري الذي كان يهدف الى تغيير الحروف : « كيف يرى الفلاح هذا العمل ؟ ! »

غير ان الغاء اتاتورك للحروف العربية شجع السوفييت بعد ذلك على تعميم الكتابة بالحروف الروسية .

اتاتورك يغير الحروف :

وفى آب (اغسطس) سنة 1928 اعلن اتاتورك — بعد تردد — فى اجتماع له بقصر « سراي بورنو » بإستانبول ، مشروعه لكتابة التركية بالحروف اللاتينية بدلاً من العربية مدعياً «ان الكتابة بالحروف العربية شديدة التعقيد بحيث صارت وقفا على خاصة المثقفين ورجال الدين .. أما اكثرية الشعب أو نحو تسعين بالمائة منه فلا تعرف القراءة والكتابة ، وحتى الذين يعرفونها تقتصر ثقافتهم على الأفكار العربية والفارسية فحسب ، وكان جداراً قد أقيم بينهم وبين الفكر الغربى الوثاب ... » ثم حدد يوماً يصبح بعده كل متخلف عن اتقان الكتابة عرضة لعقوبات قاسية منها الطرد من الوظيفة والتجريد من الجنسية بل النفي من البلاد أو الاعتقال فى السجون .

المعركة فى سورية ولبنان :

وعلى اثر الدعوة الى لاتينية الحرف التى اثارها بعض الاوربيين المستشرقين بحجة ان الخط العربى صعب جداً (!) ، استجاب لها أناس فى لبنان ومصر والمغرب فى فترات متقطعة ، وقد تولت جريدة « لا سيري » الفرنسية فى بيروت سنة 1922 أول الاحتلال الفرنسى ، الدعوة الى الحرف اللاتينى ولما نشرت « لا سيري » دعوتها الى الحرف اللاتينى ترجمت جريدة « الف باء » الدمشقية مقالها فى (19/ 1922/12) وطلبت الى المجمع العلمى العربى بدمشق رأيه فى الموضوع ، فعهد المجمع بالجواب الى احد اعضائه (الياس القدسى) الذي درس الموضوع وعرض لتفاصيله ثم انتهى الى رفضه رفضاً باتاً .

وبعد سنتين من هذا الصوت الناشز فى « لا سيري » اثلج الصدور مقال ارسله المستشرق الفنلندي (يوحنا اهتنين كرسكو) الى مجلة المجمع العلمى العربى (4/483 تشرين الثانى 1924) عنوانه « نفي أوهام الاوربيين فى صعوبة تعلم العربية » دافع فيه عن الحروف العربية وخلص الى ان تعلم الحروف العربية وكتابتها أسهل من تعلم الحروف الاوربية وكتابتها ، لاننا لو نظرنا بلا تحزب لرأينا ان وجهة الكتابة من اليمين الى الشمال هى الاصح لانها لا تتعب اليد مثل وجهة الكتابة من الشمال الى اليمين .

وعلى الرغم من رفض هذه الدعوة التى ولدت ميتة فى سورية فقد وجدت فى لبنان متنفسا على يد بعض الكتاب كالأب رفائيل نخلة اليسوعي الذي نشر سنة 1950 كتاب « قواعد اللهجة اللبنانية — السورية ! » بالفرنسية ، وقد كتبت فيه النصوص العربية بالحرف اللاتينى . وسعيد عقل الذي كتب « يارا » ، شعرا بالعامية اللبنانية والحرف اللاتينى . والدكتور أنيس فريحة (احد اساتذة التاريخ واللغات السامية فى الجامعة الامريكية فى بيروت) الذي نشر عدة كتب دعا فيها الى ان ينتقل العرب الى الكتابة بالعامية وبالحرف اللاتينى ، فقد أصدر سنة 1952 كتاب « تبسيط قواعد العربية وتبويبها على اساس منطقى جديد » وبعد ذلك بثلاث سنوات زاد نشاطه فأصدر كتابه « محاضرات فى اللهجات واسلوب دراستها » وكتابه « نحو عربية ميسرة » و « الخط العربى : نشأته ومشكلاته » ، ونشر حروفا لاتينية جعلها توافق الحروف العربية ، وهو يرى أن كتابة العربية بالحرف اللاتينى ، كما اقترحه عبد العزيز فهمي ، يضبط لفظ اللغة مرة واحدة لجميع الناس ، ويخفف عنا عبء مشاكل كثيرة مالية وتربوية حيث ان نصف قواعد الصرف والنحو تهمل مرة واحدة لان أكثر هذه القواعد وضعت للمساعدة

على القراءة الصحيحة ، وقد رد عليه الدكتوران : مصطفى الخالدي وعمر فروخ في كتابهما « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » بقولهما : ان الدعوة الى الحرف اللاتيني معناها :

1 — خلق مشكلة لا حل مشكلة .

2 — قطع حاضر العرب ومستقبلهم بماضيهم .

3 — وان كتابة الحرف العربي مشكولا تسقط حجج الدكتور فريحة (صفحة 228) .

وممن عقب على دعاة لاتينية الحرف الدكتور سعيد شهاب الدين الذي نشر عام 1961 رسالة في بيروت عنوانها « دعاة العامية هم اعداء القومية العربية » ذكر فيها « ان الزمن الذي كانت فيه بعض المجتمعات تعتمد ألفباء معينة لنشر ديانة معينة قد ولّى الى غير رجعة » .

وهذا لا يعني ان أفراد طائفة معينة في لبنان يقفون جميعا وراء لاتينية الحرف ، فها هو ذا مارون عبود يقول في كتابه : « الشعر العامي » : « كنت، ولا أزال ، وسأظل ، عدوّ الاثنين ، الداعي الى احلال العامية محل الفصحى ، والقائل بكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية » . بل ان الشيخ ابراهيم اليازجي كان من أوائل الذين حملوا حملة من نار على الدعاة للحروف اللاتنية وذلك في مجلته « الضياء » التي أصدرها في القاهرة سنة 1898 .

وتنهض اليوم الجامعة الامريكية في بيروت بأمر الدعوة الى تلتين الحرف العربي ، وكانت المدارس والمعاهد الفرنسية قد حملت هذه الدعوة حقبة من الزمن .

المستشرقون أول من نهض بهذا الامر :

واذا ما ذكرت «الكتابة بالحروف اللاتينية» فان الخاطر يقفز الى المستشرقين الذين ارتبطت بهم الدعوة اليها واول مستشرق اخضع الالفاظ العربية للحروف اللاتينية « بطرس دي القلعة » الذي طبع في غرناطة سنة 1505 أول كتاب عربي ، وقد عمد فيه الى كتابة العبارات العربية بالحروف اللاتينية متلدّا الحرف ع بـ ă والحرف خ بـ ḫ و ث بـ ĕ ...

ويبدو ان وراء هجوم المستشرقين الأوائل على الحرف العربي ، عجز المطبعة في بداية عهد طباعة الكتب العربية عن تكوين الحروف العربية ، اذ ان المستشرق الفرنسي (غليوم بوستل) استقبح الحروف العربية التي استعملها في الكتاب الذي طبعه في أوربا بحروف عربية سنة 1538 ، فقد جاءت هذه الحروف مبعثرة غير متصلة لا انسجام بينها ، ويظهر عليها سمات التأثر بطريقة رصف الحروف اللاتينية .

وقد تزعم الحركة الرامية الى كتابة العامية وبالحرف اللاتيني المستشرقون الفرنسيون وعلى راسهم لويس ماسينيون (1883 — 1962) الموظف في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية ، ولقد حاول ان يبث دعوته هذه في المغرب ومصر ، و سورية ، ولبنان ، خاصة ، ومن المستشرقين الانكليز الذين دعوا الى لاتينية الحرف (مارغليوث) ، وقد بذل مجهودا كبيرا ، وقام برحلات عديدة الى القاهرة ، والقدس ودمشق وطهران ، مبعوثا من وزارة المستعمرات الانكليزية ، لاقناع المسؤولين باقتباس الحرف اللاتيني ، وكان يأمل ان يقوم شاه ايران أسوة باتاتورك بكتابة اللغة الفارسية بالحروف اللاتينية ، غير ان مسعاه في ذلك خاب .

وينقل سعيد الافغاني في كتابه (من حاضر اللغة العربية) جانبا من نشاط (مارغليوث) بهذا الصدد ويذكر انه حاول اقناع محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق بتبني موقفه الا ان كرد علي رفض ذلك باصرار .

وللمستشرق الفرنسي (بلاشير) رأي في نمط الكتابة العربية سجله في الجزء الاول من كتابه (تاريخ الادب العربي) حيث يقول : « تبقى هذه الطريقة الكتابية دائما أداة ابتدائية ، فان كثيرا من النصوص التي كتبت بها تحوي نقصا فاضحا عند القراءة ، وتحتمل قراءات عديدة ، ويجدر بنا ان نحسب لهذه الامور حسابا عند كلامنا عن الصروح الاولى في الادب العربي » .

المعركة في مصر :

بدأت الدعوة الى اصطناع الحرف اللاتيني تتسلل الى مصر أبان أزمتها بالتدخل الاجنبي في عهد

اسماعيل . عندما هبط مصر بعض الاوربيين من مستشرقين وغير مستشرقين، اذ اقترحوا استبدال الفصحى بالعامية وكتابتها بالحروف اللاتينية بدعوى توحيد الكتابة فى جميع انحاء العالم ، فلم يصادفوا الا الاعراض والخيبة فى مسعاهم ، وممن كتب فى ذلك « الدكتور ولهلم سبيتا » الذي نشر سنة 1880 ، عندما كان مديرا لدار الكتب الوطنية المصرية ، كتابا باللغة الالمانية فى « قواعد العربية العامية » دعا فيه الى العامية على ان تكتب بحروف لاتينية ، ومنهم ايضا المهندس الانكليزي (وليم ويلكوكس) الذي خطب وحشد الأعوان والصحافة الماجورة ، وقد أشار اليه حافظ ابراهيم فى قصيدته المشهورة (على لسان اللغة العربية) التى نظمها سنة 1908 بقوله :

ايطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادي بوادي فى ربيع حياتي

ونظرًا الى أعراض الكتاب عن الشكل واعتماد الصحف والمطبوعات الكتابة المنقوصة اخذت تتعالى فى مصر منذ مطلع القرن العشرين صيحات كثيرة تدعو الى اصلاح الكتابة العربية ، فقد اقترح محمد لطفي السيد سنة 1889 وضع الحروف اللينة بدل علامات الشكل فى الكلمات ، وهو راي الكسائي ، ولكن هذا الاقتراح لم يصادف نجاحا ، واثار قاسم امين المشكلة فى كتابه « كلمات » بقوله : « فى اللغات الاخرى يقرا الانسان ليفهم ، اما فى اللغة العربية فانه يفهم ليقرا ».

ودعا طه حسين فى « مستقبل الثقافة فى مصر » الى اصلاح الكتابة قائلا : « اريد ان تكون الكتابة تصويرا صادقا دقيقا للنطق لا ان تصور بعضه وتلغى بعضه ، لا ان تصور نصف اللفظ وتلغى نصفه الآخر » .

وظلت هذه الصيحات تتعالى حتى أواخر سنة 1943 اذ هب عبد العزيز فهمى القاضى الكبير وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة يدعو الى التلتين ، فالف لذلك كتابا اسماه « الحروف اللاتينية لكتابة العربية » نشره سنة 1944 ، واتخذ من مجمع اللغة العربية مركزا لفتنته ، وقام يجبه بقوة كل من يرد عليه محتميا وراء إجلال اعضاء المجمع له ، واستمر الجدل شاغلا المجمع عن أعماله ثلاث سنين ، وانتهى برفض الدعوة .

وقد انبرى كثيرون للرد على عبد العزيز فهمى ولعل اطرف مناقشة جرت بينه وبين من ردوا عليه تلك التى ناظره فيها عبد العزيز البشري الذي سأله : « لماذا تريد أن تكتب العربية بالاحرف اللاتينية ، فاجابه : أريد ان اعممها ، فقال البشري : انك تريد ان ترطنها ولا تريد ان تعممها. ومن ذلك المعركة التى شهدتها صفحات مجلة « الثقافة » المصرية القديمة بين عبد العزيز فهمي وعبد الوهاب عزام الذي يرى انه يعرف ما لا يعرفه فهمى بحكم رحلاته وبروي كيف تبدد التراث الاسلامى فى تركيا بعد التخلي عن الحرف العربى واتخاذ الحرف اللاتينى ، وكيف يعاني الجيل هناك من التفسخ والجهل باصول ثقافته ومجد ماضيه .

وممن رد عليه دعو ته فى تونس العابد المزالى، وذلك فى محاضرة شهيرة القاها امام رجال التعليم التونسيين ، ونشرتها مجلة « المباحث » — 2/25/ 1946 — فكانت تعبيرا صادقا عن ضمير تونس وتأكيدا على تمسكها باصالتها وعروبتها ، ورد عليه فى سورية الدكتور اسعد طلس فى كتاب مرفوع اليه على صفحات مجلة «الثقافة» المصرية — العدد 306 نوفمبر 1944 — ورد عليه من فلسطين الشاعر الكبير محمد اسعاف النشاشيبى ، فقد كتب كلمة فى مجلة « الرسالة » المصرية عن « اللغة العامية والحروف اللاتينية » بامضاء السهمى ، حمل فيها حملة من نار على الدعاة للحروف اللاتينية .

غير انه وجد فى مصر من يرى انه لا سبيل للنهوض من تعثرنا الحضاري الا اذا « كتبنا من اليسار الى اليمين كما يكتبون ، وارتدينا من الثياب ما يرتدون، واكلنا كما ياكلون ، لنفكر كما يفكرون ، وننظر الى الدنيا بكل ما ينظرون » فما هو ذا سلامة موسى يقول فى كتابه « اللغة العربية والبلاغة العصرية » : « ان اقتراح الخط اللاتينى هو وثبة الى المستقبل ، ولو اننا عملنا به لاستطعنا ان ننقل مصر الى مقام تركيا التى أغلق عليها هذا الخط ابواب ماضيها وفتح لها ابواب مستقبلها .! » ويرى ان « اقتراح عبد العزيز فهمى باشا يحتاج أولا الى العمل بالغاء الاعراب الذي لم نتعلمه ولم نعمل به قط . والغاؤه يجعل الهجاء العربى من الخط اللاتينى سهلا ثم هو يغنينا عن وضع الحركات فى اعلى واسفل الكلمة لان الحركات فى الخط اللاتينى حروف تدخل فى صلب الكلمة » .

ومن الكتّاب المعاصرين الذين كانوا الى وقت قريب يدافعون عن اقتباس الحرف اللاتينـــى الدكتور زكـــي نجيب محمود وتوفيق الحكيم .

وقد وجد محمود شيت خطاب ان الذين دعوا الى العامية وكتابة العربية بالحروف اللاتينية هـــم من الماسون وان الذين رفعوا ذكرهم بين الناس هم الماسون والاستعمار ، وهدف هؤلاء ان يصبح القرآن مهجورا واللغة العربية التى تربط العرب لغة المقابر والكهـــوف .

راي العقـــاد :

ولعباس محمود العقاد رأي فى الحروف العربيـــة ضمنه كتابه « اشتات مجتمعات فى اللغة والادب » ، وهو انها اصلح الحروف لكتابة اللغات ، وانه لا ذنب لحروفنا العربية ولا للأبجدية العربية بجملتها فى هذا التحول من هذه الحروف الى ما عداها .. و « ان عوامل السياسة والاقتصاد هى التـــى جنحت بتلك الطوائف الى اختيار الحروف اللاتينية ، ولم يكن سبب هـــذا الاختيار نقصا عسير العلاج فى اصول الكتابة العربية ولولا عوامل السياسة أو الاقتصاد لما اختار فريـــق من الملاويين حروف الانكليزية واختار فريق آخـــر حروف الهولندية ، على حسب الـــعلاقات بين البلد الملاوي وبين احدى هاتين الدولتين .

القرآن الكريم والحروف اللاتينية :

وقد شملت الدعوة الى الحـــروف اللاتينيـــة فى مصر فيما شملته كتابة المصحف (!) ، ففى تعقيب لمحمود غنيم على كلام لحفنى ناصف يرفض فيه كتابة القرآن بغير الرسم العثمانـــى (اي بالاملاء الحديث) معللا ذلك بانه قد يأتـــى من يستـــحســن كتابتـــه بالحروف اللاتينية يقول : « اما كتـــابـــة المصحـــف بالاملاء الحديث فانما تتعلق بالشكل لا بالجـــوهـــر : اعنى انها لا تحدث تغييرا فى سلامة القراءة بل ربما كانت ادعى الى هذه السلامة . ان قداسة القـــرآن تنصب على كلامه لا على رسم حروفه ، فالاول مـــن صنع الله ، والثانى من صنع البشـــر ، واذا صح ذلك فما اخال رسم القرآن بالحروف اللاتينية يجد من المنصفين كبير حرج ، بل لهم ان يقولوا بوجـــوبه لا بجوازه فقط اذا لاحظنا ان القرآن اس الاســـلام ، وان الاسلام دين البرية كلها ، لا دين العرب وحدهم. وما دمنا مكلفين ببث الدعوة الاسلامية فى مختلـــف الامم فعلينا ان نكتب لهم ما ندعو اليه بالخط الذي يستطيعون قراءته به ، اما تكليف العالم اجمع بـــأن يتعلم الحروف العربية فهو تكليف بالمحال » .

ويستطرد قائلا : « وعلى اي حال فمجال القول فى هذا الموضوع ذو سعة ، وهو موضوع مستمر بين طوائف العلماء انفسهم ، وسواء رضينا او ابينا فـــان القرآن ، او سُوَراً منه على الاقل تكتب بالـــحـــروف اللاتينية وتترجم الى غير العربية ، انما كان الاجدر بنا ان يكون ذلك تحت اشرافنا بدل ان يتولاه من لا يوثق به ، ولا يؤتمن عليه ! » .

وقد رفض مجمع البحوث الاسلامية بالازهـــر المحاولات الجارية الآن لكتابة القرآن الكريم فى نصه العربى بالحروف اللاتينية ، وحول هذا قال الشيـــخ محمد حسنين مخلوف ، مفتي الجـــمهـــورية الاسبق بمصر : « ان القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبيـــن على رسول عربـــى امين ، نطق به عربـــى ، وامـــر بكتابته بالعربية فقرىء بها ، وكتابته بحروف عربية نكتب بها ، واجمع على ذلك المسلمون كافة فى أربعة عشر قرنا ، فلا يجوز بحال من الاحوال ان يكتب بحروف غير عربية ، لاتينية كانت ام غير لاتينيـــة . ومحاولة ذلك ، اثم كبير ، وخطر جسيـــم ، وكيـــد لكتاب رب العالمين ، والله لا يهدي كيد الخائنين » .

حلـــول لمشكلات الكتابـــة العربيـــة :

وكان من جراء دعوة عبد العزيز فهمـــى الى لاتينية الحرف ان قام الياس عكاوي بنشر كتاب لـــه بعنوان « ألفباء فاروق » قدم فيه نموذجا لحـــروف ابتدعها لكتابة العربية شبيهة بالقلم العبرانـــى المربع راعى فيها فصل الحروف عن بعضها، ثم تبعه السعيد الشرباصـــى فى كتابه « تطور الكتابة العربية » سنة 1946 حيث دعا فيه الى اجراء اصلاح على الحروف العربية وقدم بعض النماذج التطبيقية . وتبعهـــم محمود تيمور سنة 1951 اذ تقدم الى مؤتمر مجمع اللغة العربية ببحث عنوانه « ضبط الكتابة العربية » دعا فيه الى اتخاذ صورة واحدة للـــحـــروف فى جميع مواقعها من الكلمات .

وهناك محاولة أخرى اقترحها المهندس نصيري خطار عام 1951 وسماها « الأبجدية الموحدة » تقوم على فصل الحروف غير انها لم تف بالمطلوب لانهـــا جاءت خلوا من الحركات وبدت فيها الحروف مبعثرة

وفى المغرب الاقصى استنبط احمد الاخضر غزال طريقة سماها الطريقة المعيارية ، وقد اختصر فيها الاشكال الى تسعين شكلا بما فى ذلك حروف الضبط والشكل وعلاماته والارقام والوقف ، وتبنت حكومة المملكة المغربية هذه الطريقة سنة 1956 .

كما ان المؤتمر الاول للجان الوطنية العربية لليونيسكو رحب بهذا المشروع سنة 1958 ، واخيرا أوصى المؤتمر الاول للدول العربية فى موضوع التعريب سنة 1961 بالانتفاع بهذه الطريقة .

وقد وضع هذا المشروع حيز التنفيذ باعانة الحكومة المغربية وابتدا تطبيقه فى مجالات عديدة ...

اما تجربة مروة التى تبنتها شركة لينوتيب ، فقد راعت التوازن بين مقتضيات السرعة والاقتصاد من جهة والمحافظة على الاشكال الاعتيادية للحروف المطبعية من جهة اخرى ، وتمتاز هذه الطريقة باختصار عدد الحروف التى تستلزم أربعة اشكال الى شكلين ، والتى تستلزم شكلين الى شكل فقط . فانخفض مجموع الحروف من 104 الى 56 وأصبح من الممكن أن يكون فى آلة السبك مخزن ذو 90 قناة اذا اعتبرنا الارقام ورموز الوقف وبعض الحروف المتكررة والوصلات زيادة على الحروف الابجدية .

وبتطبيق هذه الطريقة ضمنت شركة لينوتيب لأصحاب المطابع انخفاضا فى تكاليف المعدات الاولية واختصارا فى مدة ترتيب العمال وزيادة فى الانتاج قدرها 30 بالمائة .

غير ان عيب هذه الطريقة الوحيد هو انها لا تعتمد الشكل ولا تحل المشكل بالنسبة لرغبتنا فى جعل اللغة العربية مقروءة من الجميع بسهولة ودون اجهاد كبير .

وللبشير بن سلامة التونسى طريقة سماها « الكتابة النموذجية » نشر اصولها فى كتابه « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » سنة 1971 ، وتعتمد هذه الطريقة بصفة خاصة على الحركة (الشكلة) وتختصر عدد الحروف الى 58 .

ولا يخفى ان هذه الطرق انما تنصب على ايجاد طريقة مثلى للطباعة العربية لان الهجوم على الحرف العربى اليوم ياتى من جانبين : الاول صعوبة تطويع الحرف للمطبعة بحيث يماثل الحرف اللاتينى فى سرعة الرصف وقلة الجهد ، وهذا طبعا ناتج من كون الحروف اللاتينية تطبع منفصلة بينما الحروف العربية على العكس تطبع موصولة . والثانى ان اعتماد الشكل يكلف وقتا وجهدا ومالا اكثر .

اقتراح مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

وكان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد رصد جائزة قدرها الف جنيه لمن يبتكر طريقة للخط العربى تكمل نقصه وترفع قصوره فجاءته من اكثر الاقطار الشرقية والغربية طرق شتى نيفت على الالف (ذكرنا بعضها) ، ولكنها لم تصب الغرض الذي نصبه المجمع ، فالف فى سنة 1959 لجنة من بعض أعضائه ومن ذوي الاختصاص بوزارة التربية قلبت الامر على جميع وجوهه ثم اتفقت على بقاء الخط كما هو وأوصت باتباع الشكل كاملا فى كتب التعليم الابتدائى ثم يقل بالتدريج فى المراحل المتعاقبة حتى يقتصر منه على شكل ما يشكل من الكلمات ، وبرايها اخذ المجمع ، اذ ان اهمالنا الشكل ليس عيبا فى الشكل ولو اننا حرصنا عليه وجرينا فيه على اصلاح واضح لتيسر لنا وضبطنا به لغتنا ، وينبغى ان نتدارك اليوم ما فاتنا .

وتعمل الجزائر اليوم فى مجالات التعليم بهذا الرأي .

المعركة خارج الاقطار العربية

ولئن استطاع اتاتورك فرض استعمال الاحرف اللاتينية فان الايرانيين رفضوا كتابة اللغة الفارسية بالاحرف اللاتينية ، ولم يكونوا على استعداد كالاتراك لان يستغنوا عن تراثهم الذي سيخسرونه ، لا شك ، بفقد الاتصال بينه وبين الاجيال التى لن تعرف قراءة الحرف العربى الذي كتبت به آدابهم وعلومهم ومعارفهم على مدى أربعة عشر قرنا .

وللعلامة الايرانى عباس اقبال آشتياني راي فى هذا الموضوع يقول فيه : « لقد نكبنا نحن الفرس فى تاريخنا الادبى بنكبتين عظيمتين قضتا على أدبنا ، وكان ذلك من جراء تبديل حروفنا بحروف أخرى ، فقد كان لنا أدب وشعر وحكمة وتراث مكتوب بالفارسية القديمة ، فلما غيرنا حروفنا بالحروف البهلوية ضاع كل ذلك ، ثم عبرنا زمانا نجدد آدابنا وآثارها حتى

اذا جاء الاسلام تركنا الحروف البهلوية الى الحروف العربية ، فانهدم كل شيء ، وليس عندنا اليوم من آدابنا القديمة شيء ذو خطر ، فاتركوا معاشر العرب حروفكم اذا شئتم ، اما نحن فلن نتركها ، فان العاقل لا يلدغ من جحر مرتين » !

وكذلك ابى أهل أفغانستان وباكستان وماليزيا تغيير الحرف العربى الذي يكتبون به لغاتهم القومية غير ان الاستعمار الهولندي استطاع ان يجر الاندونيسيين الى اقتباس الخط اللاتينى فى كتابة اللغة الاندونيسية التى لم يكن لها كتابة بغير الرسم العربى ، فلم يبق من يكتبها اليوم بالحرف العربى الا الكهول والشيوخ .

اما فى الاتحاد السوفييتى والصين الشعبية فلا تزال الشعوب التركية القاطنة فى هذين البلدين تستعمل الخط العربى فى بعض الاحايين .

وحديثاً استطاع الاستعمار الانكليزي فى نيجيريا ان يجر اهل الشمال الذين يكتبون لغاتهم الوطنية من هاوسا وفولانى وطوارق بالحروف العربية الى اصطناع الابجدية اللاتينية ، وان كان الكبار لا يزالون يستعملون الخط العربى . وواضح ان عوامل السياسة والاقتصاد هى التى جنحت بتلك الشعوب الى كتابة سجلاتها التجارية ومراسلاتها المتداولة بالحروف اللاتينية .

ولئن خسر الحرف العربى بعض الجولات اثناء رحلته فى شتى أنحاء المعمورة ، فقد حقق عدة انتصارات فى مواطن كثيرة ، ففى تانزانيا تم اعتماد الحرف العربى رسميا فى كتابة اللغة السواحلية على الرغم من المحاولات الكثيرة والدائبة التى بذلت لكتابتها بالحروف اللاتينية ، والذي شفع فى ذلك التراث السواحلى الضخم المكتوب بالخط العربى ، ولقد رفض أهل زنجبار وطنجانيقا محاولات التلتين فى سبيل الحفاظ على رصيدهم من الأدب القومى الذي كان من المحتمل ان يخسروه فيما لو اقدموا على اقتباس الخط اللاتينى .

وفى باكستان يزداد اعتماد اللغة البنجابية ، فى الكتابة على الحروف العربية ، فقد قام معهد الأدب البنجابى فى مدينة لاهور مؤخرا بطبع معجم « بنجابى ـ انكليزي» جديد يعد أول معجم تكتب فيه الفاظ اللغة البنجابية بالحروف العربية الأردية .

حاضر الحرف العربى :

وعلى الرغم من انه لا مفر من الابقاء على الحروف العربية باشكالها الراهنة ، وان كل محاولة لاستبدال الحروف اللاتينية بالابجدية العربية مقضى عليها بالاخفاق وان الخط العربى سيدوم الى ان يرث الله الارض ومن عليها كما يقول المستشرق الفرنسى شارل بيلا ، فانه لا يزال يحلو لبعض المفكرين فى الشرق والغرب تفضيل الحرف اللاتينى على العربى آخذين عليه بعض وجوه النقص والابهام مدعين بان الحروف اللاتينية اكثر دقة فى ضبط الكلم وأسهل فى الطباعة ، وقد تجددت هذه الدعوة فى الآونة الاخيرة فظهرت فى بيروت مجموعة من الكتب لسعيد عقل وآخرين وضعت بالعامية اللبنانية وطبعت بمشرات الالوان بحروف لاتينية ملفقة ، وهم يسمون هذه اللغة باللغة الفينيقية ، ويكاد المبرزون فيها بجائزة مالية مستمرة .

والجدير بالذكر ان (سعيد عقل) يسعى الآن، بعد اخفاق دعوة التلتين ، الى تطوير حروف جديدة يزعم انها فينيقية ، يمدها لكتابة العامية اللبنانية .

وفى مصر تقوم الجامعة الامريكة بالقاهرة باعداد معجم للغة العامية المصرية بالحروف العربية واللاتينية والشروح باللغة الانكليزية كما تقوم دائرة الثقافة والفنون فى الأردن بتدوين الوثائق الفولكلورية بالحروف اللاتينية وفق نظام خاص للنطق يؤدي اللفظ الاصلى.

لقد نسى أولئك الذين يبتغون السير وراء اتاتورك ان اللغة التركية حديثة وليست بذات أمجاد حضارية ، وما فيها من نفائس الكتب مترجم اكثره عن العربية والفارسية وان اللغة التركية وليدة جديدة ما زالت فى دور الحضانة والنمو وانها تستعير نحو ثلث الفاظها من العربية والثلث الثانى من الفارسية واللغات الطورانية والثلث الاخير مستعار من اللغات الاوربية الحديثة ، واننا لو بدلنا حرفنا واتخذنا الحرف اللاتينى مكانه لاحتجنا الى اعادة طبع عشرات الالوف من كتبنا القيمة وفيها ارث حضارتنا وثقافتنا وتاريخنا وأمجادنا .

وتهدف حركة تلتين الحرف الى قطع صلات الشعوب بماضيها الحضاري والفكري وتفريغ المجتمع من الداخل تفريغا يجعله قابلا لان يملأ بما يراه أعداء الشعوب لها فتعود الى وهدة التبعية ،

هذا من جهة ومن جهة اخرى قطع الصلات الثقافية بين الاقطار العربية وشعوب آسيا وافريقيا .

والرسم العربى قد تناولته يد الاصلاح أكثر من مرة قبل الاسلام وبعده ، ويرى بعض علماء اللغة والكتابة انه بحاجة الى ابتداع طريقة لاحلال علامات ظاهرة ترسم فى صلب الكلمة محل الفتحة والكسرة والضمة حتى يتقى اللبس فى كتابة الكلمة ، ومهما يكن ، فالرسم العربى ليس فى حاجة الى كثير من الاصلاح ، فهو من اكثر انواع الرسم سهولة ودقة وضبطا فى القواعد ومطابقة المنطق .

والكتابة العربية باعتمادها على حروف المدّ دون اثباتها للحركات الخفيفة ، انما تتماشى مع اصول الكتابة فى اللغات السامية الأخرى باستثناء اللغة الاثيوبية (الامحرية) التى تدخل الحركات فيها فى صلب الكلمة المكتوبة ، ولا يختلف الحال بالنسبة الى اللغة العبرية ، اذ لم يشغل اليهود انفسهم باضافة الحركات الى الحروف بل تركوها للقارىء يستخرجها من معنى العبارة ، ولا تزال الحركات العبرية الى اليوم مجرد علامات تزدان بها الحروف ، ولو كان عدم اثبات الحركات فى الخط العبري يضير بالكتابة ويقف حجر عثرة فى سبيل « التقدم » لكان اليهود — وهم أكثر شعوب الارض ارتباطا بالغرب — أول من اقتبس الحرف اللاتينى !

وقد ثبت الآن ان الحرف العربى حرف مثالى فى جمال تكوينه وشكله وتنوعه والتوائه واستوائه وتعريجاته واختصاره وان الصفحة الواحدة من الكتاب العربى لو كتبت بالحرف اللاتينى لاحتاجت الى صفحتين على الاقل وان تطور الطباعة اليوم يتجه نحو اللينوتيب والمونوتيب ومعنى ذلك هو العدول بالتدريج عن أسلوب الرصف الحرفى واختصار القوالب .

وقد نشرت مجلة « اللسان العربى » التى يصدرها المكتب الدائم لتنسيق العريب فى الوطن العربى (المجلد التاسع ، الجزء الاول ، يناير 1972) حروفا عربية جديدة من ابتكار مصطفى النعمان اختصر فيها الحركات وادخلها ضمن الكلمة وجعل الحروف مركبة من خطوط سهلة تشغل مساحة هندسية ملائمة واستغنى عن السكون .

انتشار الحرف العربى :

والحرف العربى ساد كتابة اللغات الشرقية فى آسيا وافريقيا منذ أقدم الأعصر ، وكتبت بحروفنا العربية الجميلة عشرات اللغات التى تنتشر ما بين اندونيسيا وشينكيانغ فى الصين شرقا ، واسبانيا غربا ، والحرف العربى هو الثالث فى العالم من حيث قوة الانتشار بعد الحرفين اللاتينى والصينى ، والاخير ليس من القوة ليعد ، فلذلك فى العالم اليوم حرفان رئيسيان ، يؤخذ بهما ، وهما يصطرعان ليثبتا قدرتهما اذ يكتب (250) مليونا من المسلمين فى آسيا وافريقيا لغاتهم القومية بالحرف العربى بالاضافة الى مائة مليون عربى يكتبون العربية بالخط العربى ، ويعود شيوع الحروف العربية الى كونها حروف الفاتحين العرب المسلمين وحروف اللغة التى كتب بها القرآن الكريم والتى يتكلمها العلماء والتجار الذين وفدوا من بلاد العرب .

وقد أحصى عبد الفتاح عبادة عام 1915 فى كتابه « انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى والعالم الغربى » اكثر من (35) لغة كتبت لعهده بالحروف العربية ، وذلك قبل ظهور الحركة الداعية الى لاتينية الحرف ، وقسمها الى خمس مجموعات وهى مجموعة اللغات التركية والفارسية والهندية والافريقية بالاضافة الى اللغة العربية .

وتكتب اليوم ست لغات قومية فى العالم رسميا بالحروف العربية ، وهى بالاضافة الى اللغة العربية: الفارسية (ايران) والاردية (باكستان) والبشتية (افغانستان) ولغة الملايو المعروفة بـ (الباهاشا) فى ماليزيا واللغة السواحلية فى تنزانيا (طنجانيقا وزنجبار)

وتكتب ايضا بالحروف العربية اللغات الاقليمية التالية ، فى ايران : الآذرية فى اذربيجان والبلوشية فى بلوسستان واللورية فى لورستان وكذلك الكردية والتركمانية ..

وفى باكستان : البنجابية فى البنجابوالسندية فى السند والبلوشية فى بلوشستان والبشتية فى اقليم الحدود الشمالية الغربية ، والكشميرية فى كشمير ، كما تكتب فى الهند لغة الدكن بالحروف العربية .

وقد كتبت فى الاتحاد السوفييتى قديما ولا تزال تكتب فى بعض الاحيان بعض لغات جمهوريات الشرق بالحروف العربية كالآذرية والتاجيكية والاوزبكية والقرغيزية والتركمانية والتترية والقرمية والكارسية

والداغستانية والكوميكية والجركسية والجغتائيـــة والتكيـــة .

وفى الصين لا تزال اللغة الويغورية (الكاشغرية) التى تنتشر فى منطقة شينكيانغ (تركستان الصينية سابقا) تكتب فى بعض الاحيان بالحروف العربية .

هذا فى آسيا اما فى افريقيا فتكتب بالحروف العربية اللغات التالية : البربرية بلهجاتها وفروعها المختلفة فى المغرب العربـــى ، والولوفية فى السنغال والماندية فى مالى والحاوصية فى النيجر والفولانية فى نيجيريا والكانورية فى تشاد والنـــوبيـــة فى مصـــر والملغاشية فى مدغشقر والقمرية فى جزر القمر وبعض لغات الحبشة كلغة آنحو والغالا ولغة أهل هرر ولغة القبائل الكوشيـــة .

غير ان بعض هذه اللغات اخذتتكتب بحروفلاتينية فصار لها حرفان وطريقتان فى الرسم .

ومن اللغات الاوربية التى كتبت بالحروف العربية الخميادو او الجميادو ، وهى القشتالية الاسبانية ، وكذلك الارنؤطية (الالبانية) والبشناقية (الصربية) ، وحتى اللاتينية والعبرية استعملت الحروف العربية فى كتابتهما فى وقت من الاوقات فى العصور الوسطى.

انواع الخطوط المستعملة :

وتعتمد كل لغة من اللغات التى تستعمل الحرف العربى فى كتابتها أحد أنواع الخطوط الـعـربية ، فالعربية والافغانية والسندية تعتمد الخط النسخـى، والفارسية والأردية تعتمـدان الخـط الفـارسى والشكست والنستعليق ، والولوفية والماندية تكتبان بحروف كوفية ، وتأثرت عامة لغات افريقيا الغربية فى كتابة حروفها بطريقة الاملاء المـغربـى الـذي يتبع رسم أهل المدينة كنقط الفاء بنقطة تحتية والاكتفاء بنقطة فوقية للقاف ، وهـى تكتب بالخط السودانـى (التمبكتى) ، وهو خط غليظ وثقيل ذو زوايا ، وقـد انتشر هذا الخط فى النصف الثانـى من القـــرن الثانـى عشر .

اضافـة حروف جديدة :

ومن جراء كتابة الشعوب الآسيوية والافريقية للغاتها بالحرف العربـى زادت هذه الحروف فـى بعض اللغات . ففى الفارسية اضاف الفرس اربعة احرف لم تكن موجودة فى العربيـة ، وهـى البـاء المهموسـة (المثلثة التحتية) پ وتلفظ كما فى الانكليزية والفرنسية P والجيم المثلثة چ وتلفـظ كما فى الانكليزية CH أو فى الفرنسية TCH والكاف الفارسية گ

وتلفظ كما فى الانجليزية g او الفرنسية gu او الجيم القاهرية ، والزاي المثلثة الفوقية ژ وتلفظ كما فى الانكليزية او الفرنسية J .

وفى الكردية أضاف الاكراد الحروف الاربعة التى ابتدعها الفرس وحرفا آخر هو الفاء المجهورة (المثلثة الفوقية) ڤ ، وتلفظ مثل V فى الانكليزية .

اما فى الاردية فقد أضاف الباكستانيون الحروف الاربعة التى اختص بها الفرس وحروفا اخرى هـى التاء والدال والراء السنسكريتية ويميزونهـا عـن غيرها بوضع طاء صغيرة فوقها .

وفى مجموعة اللغات التركية تستعمل الكـاف النونية ويرمز لها بكاف فوقها ثلاث نقاط والكـاف اليائية ، وهى لا تنطق .

وهناك حروف أخرى أضيـفـت الى اللغـة الافغانية ولغة الملايو وغيرهما لا مجال هنا لذكرها . وقد أثرت بعض مجامع اللغة العربية استعمال الكاف الفارسية فى الكتابة العربية ، وهى الـكاف التـى نوهنا بأنها كاف مضاف لها شرطة صغيرة (گ) ، وتقابل فى الانكليزية حرف g

تعصب الشعوب لحروفها :

من يراجع التاريخ ويسبر الحاضر ، ويستعرض أحوال الشعوب والأديان يعرف سبب تمسك الامم بخطوطها ، والتزام الديانات المختلفة بطريقة الكتابة التى نشأت معها . والبهود تفرقوا فى مناكب الارض ، وصاروا يعيشون فى كل مكان ويتكلمون بكل لغة ومع ذلك ظلوا متمسكين بطريقة رسمهم الخاص وهـو القلم العبرانـى المربع ، وقد كتبوا به اللغة الالمانية فى ألمانيا واللغة الانكليزية فى امريكا والاسبانية فـى اسبانيا ، كما كتبوا به الفارسية فى ايران والعربية فى الشـــرق .

وكذلك الكاثوليك اللاتينيون المقيمون فى بلغاريا، فانهم يستعملون البلغارية مكتوبة بالحروف اللاتينية،

بدل الحروف البلغارية . وكذلك البوذيون فى شمال آسية ، فانهم يؤثرون القلم التبتى ، وفى جنوبها القلم البالى بالنسبة لأحد آلهتهم .

ولا عجب فى ان كثيرا من الامم ، ولا سيما أهل الاديان ، يتبركون بالخط الذي تكتب به لغة دينهم ، ويعدونه اثرًا دينيا ان لم يعتبروه جزءًا من الدين .

الصومال ومعركة الحرف :

ومعركة الحرف العربى والحرف اللاتينى لا تزال مستمرة ، وكل مدة تنتقل من قطر الى آخر ، وهذه المعركة انتقلت اليوم الى القطر الصومالى ، فثمة محاولة لكتابة اللغة الصومالية — التى لم تكن لها كتابة — بالحروف اللاتينية .

ولا تزال محافل اللغة العربية تناشد الرئيس الصومالى محمد سياد بريّ العمل على كتابة لغة البلاد الوطنية بالحروف العربية لما فى ذلك من تمتين للروابط القومية بين العرب والصوماليين خاصة وان الصومال عضو فى الجامعة العربية .

وقد ناشد المؤتمر التاسع لاتحاد المعلمين العرب المنعقد بالخرطوم بين 21—23 شباط (فبراير) سنة 1976 الرئيس الصومالى بان يعمل على دعم اللغة العربية وكتابة اللغة الصومالية بالحروف العربية اذ كان قد اصدر فى 21 كانون الثانى (يناير) سنة 1973 قرارا بكتابة الصومالية بالحرف اللاتينى واعتمادها لغة رسمية .

وليست هذه المحاولة لكتابة الصومالية بالحرف اللاتينى ، الاولى من نوعها ، فقد حاول الانكليز كتابتها بهذه الحروف ، فالفوا عدة كتب فى النحو ، وحاول الايطاليون ذلك بدورهم وفتحوا المدارس وعقدوا الاجتماعات وأصدروا القرارات ، ولكن كل ذلك لم يجد .

اما الحروف العربية ، فقد حاول كل من المستشرق كنغ والمهدي الصومالى « الملا محمد عبد الله حسن » وبعض الصوماليين كتابة الصومالية بها واستمرت التجربة لسنوات ثم أخفقت .

ومن واجب العرب — اليوم — على كافة الاصعدة مساندة الحركة الناهضة الداعية الى كتابة اللغات الشفيفة فى آسيا وافريقيا بالحروف العربية ،

فما ذلك الا نصر مؤزر للغة العربية التى تعود مرة اخرى فى هذا العصر لتتبوأ مركزها السابق كلغة حية عالمية .

الدعوة من جديد ... والحل ؟ :

يلاحظ المتتبع لحركة المجلات الثقافية والفكرية العربية ان عدة مقالات لبعض المفكرين والكتاب تنشر بين فينة وأخرى ، تدعو الى اصلاح الحروف العربية واعادة النظر فى نمط الكتابة والاملاء لتبسيط قواعد اللغة ورسم حروفها حتى يستطيع النشء استيعاب اللغة العربية .

وعلى الرغم من ان هذه الدعوات ملحة وليس فيها زيادة على كلام كثير سابق وان طرقا شتى تقدم بها عديدون الى مجامع اللغة العربية ، فانه لزاما علينا ان نعجل بوضع الحركات على الحروف خوفا من الانسياق وراء دعوات مريبة كتلك التى تدعو الى تغيير الحرف ، واذ نحن بصدد فرض الحركات على هيكل الكلمات أرى ان تتفق محافل اللغة العربية على وضع قواعد معينة للشكل تكون ملزمة فى الكتابة يذكر فيها متى يشكل الحرف ؟ ومتى لا يشكل ؟ فالحروف التى تسبق احرف المدّ الطويلة لا تحتاج الى شكل ، وكذلك يمكن الاستغناء عن وضع الفتحة لكثرة جريان هذه الحركة فى الكلمات العربية ، ولكن يجب شكل الأفعال التى ترد فى صيغة البناء للمجهول ، ويمكن تمييز الحروف الساكنة بوصل دائرة صغيرة فى طرفها ... الخ ....

وهكذا بقليل من الاصلاح لنظام الشكل والاملاء بحيث نراعى المنطوق ونسقط الحروف الزائدة ونعيد الحروف المحذوفة يمكن أن نيسر القراءة ونرفع عن حروفنا تهمة القصور والنقص ، والابهام ، ولا بأس من اعتماد احدى الطرق الحديثة للطباعة التى تقدم بها كثيرون سواء الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة او مكتب تنسيق التعريب .